الشعر الذي يسمونه جديدا*

بقلم : رياض عبدالله حلاق**
سورية

رحم الله الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد قضى حياته في دأب ونصب، حتى تمكن من وضع علم العروض، على قواعد ثابتة، وأصول متكاملة، تصونه من العبث، وتبعده عن الاضطراب، وتبقيه لمواكب الأجيال العربية القادمة، مقياسا دقيقا يجنب طلابه الزلل والخطأ، ويساعدهم على صوغ مشاعرهم، وفق وحدة موسيقية متناسقة الجرس والإيقاع، وذهب الخليل، وبقي علم العروض أساسا يبني عليه كبار شعراء العرب خرائدهم وأبكارهم، لا يعيبونه، ولا يشذون عنه، ولا يخرجون على أصوله وأحكامه، ولا يفكرون في طريقة جديدة تقوم مقامه، ليقينهم أن طريقة الخليل هي الطريقة المثلى، وأن قيثارته صالحة لكل زمان، وقادرة على التعبير بصدق ويسر وانسجام، عن كل ما يجول في الذهن من أفكار وخواطر، وعن كل ما يكنه القلب من أحاسيس وخلجات وانفعالات.

بيد أن فئة من حملة الأقلام عندنا ، يرون غير هذا الرأي ويدعون إلى التحرر من ضوابط هذا العلم ومقاييسه زاعمين أن هذه الضوابط والمقاييس تقيد الفكر، وتغل العواطف، وتحد من طاقة الخيال على التحليق في أفق التجديد والابتكار ولهذا طلعوا علينا ببدعة «الشعر المنثور ».. وهبّ بعض الغيارى على العلم واللغة والفن، يناهضون هذه البدعة الدخيلة على الفصحى، ويحضون على التمسك بعمود الشعر ويثبتون بألف دليل قاطع أن الشعر المتنكر للوزن والقافية لا يعد شعرا، وإنما هو كلمات رصف بعضها بجانب بعضها الآخر، رصفا متباينا متنافرا. وفي مقدور راصفي هذه الكلمات، أن يضعوا بينها ما يشاؤون من نقاط وعلامات تعجب واستفهام، وأن يطلقوا عليها ما يحبون من أسماء.

أما الشعر بمفهومه الصحيح، وديباجته المشرقة، وبنغمته الموسيقية المتلائمة، فهو بعيد عنها، وبراء منها.

والذي لا شك فيه أن الباحثين وكبار الناقدين ورجال العلم والفكر والمنطق، قد اتفقوا على أن الوزن والقافية هما دعامتا الشعر في كل عصر ومصر، وأن الشعر صناعة وثقافة وإبداع. فالشاعر القدير يستطيع أن يصوغ فكرته في قالب دقيق من الوزن كما يستطيع على أهون سبيل، أن يخضع القوافي لخياله الوثاب، وصوره الشعرية الخلابة. ذلك، أن الوزن والقافية لا يحولان دون انطلاق الشاعر في أجواء الجدة والإمعان في سماوات الفن والابتكار.

ونحن نرى، كما رأى من قبلنا أقطاب هذا العلم، أنه ليس في الشعر قديم وحديث، بل هو شعر أو لا شعر. فالمتنبي لا يزال أعظم شعرائنا وأكثرهم إبداعا رغم مرور أكثر من ألف سنة على وفاته. وكذلك نستطيع أن نقول عن البحتري وأبي تمام وأبي فراس الحمداني، وعن كثير من شعرائنا القدامى والمحدثين.

يقول الشاعر إليوت : « إنه شاعر رديء ذلك الذي يرحب بالشعر المرسل ويحسبه انطلاقا من النظم »، وتقول دائرة المعارف البريطانية :«.. ما من دليل قط على أن الجمال المطبوع الذي تجلبه القافية إلى الشعر يفقد أثره على الأذن الإنسانية. أو يتعرض لخطر من الأخطار ممن يحاول أن يستبدل به النبرات أو النغمات أو مجرد الإيقاع». والحق أن الوزن للأسماع بمثابة النور للأبصار. أما كثرة التفعيلات، أوتبديلها بسواها أو اختراع ما يشابهها، أو الاستغناء عنها، كل هذه الأمور، لا ترهف حسا، ولا تولد أفكارا، ولا تخلق شعراء. فالشعر موهبة يصقلها العلم، وتغذيها الممارسة، وتزيدها تجارب

الحياة قوة وإبداعا، وفي وسع الشاعر الموهوب، أن يعزف على قيثارة الشعر العربي المؤلفة من ستة عشر وترا، ما يطيب له، من نغمات عذبة، وألحان ساحرة أخاذة.

على هذه القيثارة المحكمة الصنع، الرخيمة الصوت، ذات الأوتار الطيعة التي استنبطها الخليل بن أحمد الفراهيدي، عزف المتنبي وأبو العلاء المعري وأبو ماضي وأبو ريشة وشوقي وحافظ ومطران والشاعر القروي وبدوي الجبل والأخطلان وفوزي وشفيق المعلوف وعبدالله يوركي حلاق، وغيرهم من عباقرة القريض، فأطربوا، وأرضوا القريض، وضمنوا الخلود.

الشعر الجديد

شعر: عبدالله يوركي حلاق***
سورية

أردت اليوم أن أهذي ... بألفاظ بلا معنى
وأن أختار أسلوبا ... ينافي الذوق والفنّا
فدلوني على نمط ... بلا معنى ولا مبنى
وقالوا دونك التجديد ... لا تختر له وزنا
وسم الفأر طاووسا ... وقل طاووسنا غنى
وقل ما شئت من لفظ ... فربُّ الشعر قد جُنّا

❖ ❖ ❖

وهات الغامض المبهمْ ... فصبح الفكر قد أظلمْ
وشوه روعة المعنى ... ومزق سمع من يفهمْ
أألغاز يزخرفها ... لسان الترك والديلمْ
وشعر ذاك أم عبث ... أفدنا علّنا نعلمْ
فقام الشاعر المشعور ... مختالا وقد تمتمْ
أمير الشعر من قهر ... رمى الأوزان واستسلمْ

❖ ❖ ❖

لسان الضاد في خير ... ولو كثرت أعاديه
وشعر العرب في ألقٍ ... وقد ضاءت معانيه
و «شوقي» شاعر الإبداع ... من منكم يدانيه
أسادت بدعة التهريج ... أم ضالت مجانيه
دعوا التجديد للمعنى ... وكفوا عن أحاجيه
ولا تنسوا تراث العرب ... فالقرآن يحميه

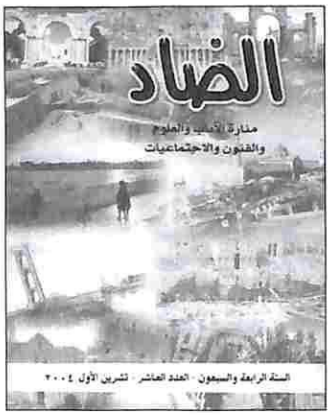

❖ مجلة الضاد، العدد ٨، آب/أغسطس ٢٠٠٢م، ص٥.

❖❖ رئيس تحرير مجلة الضاد.

❖❖❖ مؤسس مجلة الضاد عام ١٩٣١م، في حلب، سورية.